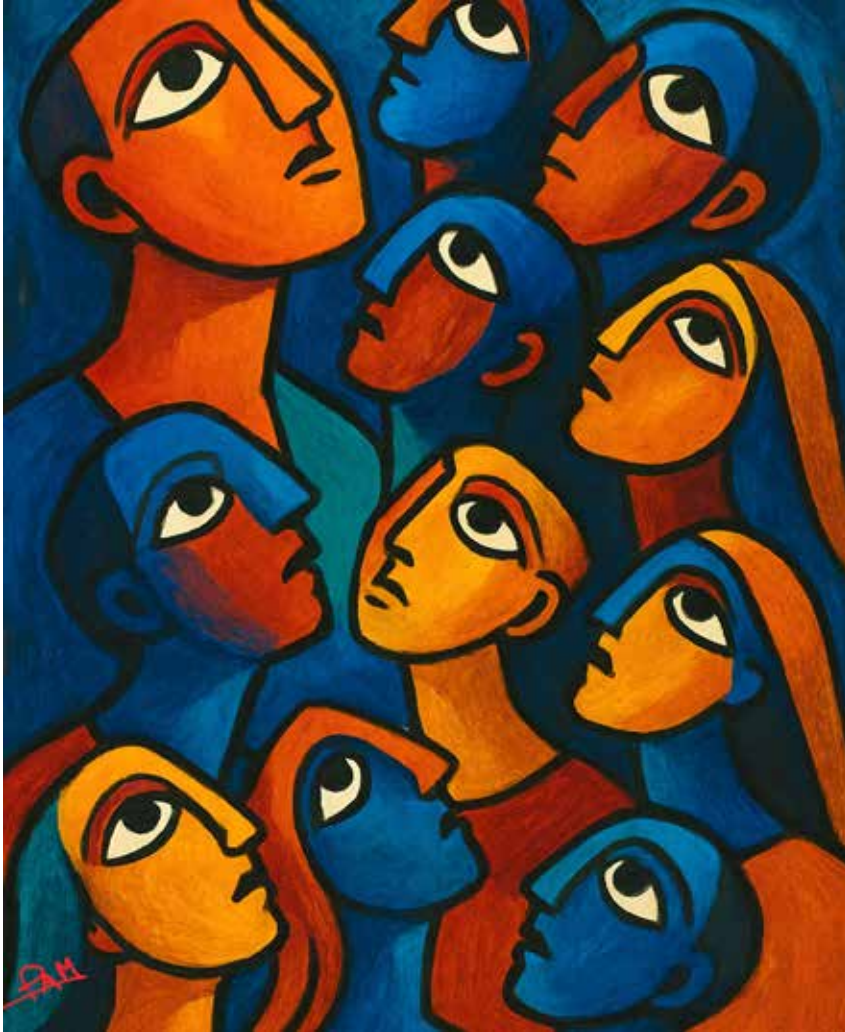


مجلة لاهوتية نقدية ملتزمة منفتحة



اقرأ لـ

خريستو المرّ

د. محمد البشير رازقي

بسام صابور

هند شريدة

الحرب والدين والثقافة في المشرق

website: www.telosmagazine.org
E-mail: Editorial@telosmagazine.org

هيئة التحرير

د. نقولا أبو مراد:

مدير مركز الدراسات المسكونية والبيئية (CEMES) ، برنامج التعليم اللاهوتي العربي، أستاذ جامعي وكاتب.

د. متري الراهب:

مؤسس ورئيس جامعة دار الكلمة الجامعية للفنون والثقافة، بيت لحم، فلسطين

د. آن إميل زكي:

أستاذة اللاهوت العملي في كلية اللاهوت الإنجيلية، القاهرة، مصر

د. بامبلا شرايية:

أستاذة جامعية في دراسات الأديان، باحثة وفنانة تشكيلية، وكاتبة

أ. جون دانيال:

أستاذ العهد الجديد واللغة اليونانية في كلية اللاهوت الإنجيلية، القاهرة، مصر

د. هادي غنطوس:

أمين سر لجنة الشؤون الكنسية والروحية في السينودس الإنجيلي الوطني في سورية ولبنان، باحث متخصص في العهد القديم

أ. ماريًا قباره:

ماجستير في اللاهوت الرعائي، طالبة دكتوراه في قسم الاخلاق وعلم الاجتماع، جامعة اريستوطاليس، تسالونيك

د. أسعد قطان:

كرسي اللاهوت الأرثوذكسي في جامعة مونستر، ألمانيا، أستاذ جامعي وكاتب

د. خريستو المر:

جامعة يورك، تورونتو، كندا، أستاذ معلوماتية وكاتب

د. هاري هاكوبيان:

محام، مستشار مستقل في القضايا القانونية والسياسية والمسكونية، ويقدم الاستشارات المهنية للمؤسسات والأفراد كالاتحاد الأوروبي،

والمنظمات غير الحكومية، كما والكنايس وأيضاً الصحافة

محتويات العدد

- افتتاحية العدد : **هيئة التحرير** ص ٤
- عيالُ الله في أرضٍ ممزّقة: من الجذور الروحية إلى مشروع يشبه الملكوت، **خريستو المرّ** ص ٥
- الحرب والذين في المشرق من خلال مجلة السياسة الخارجية (Foreign Policy) والشؤون الخارجية (Foreign Affairs): ٧ أكتوبر وما بعدها، **محمد البشير رازقي** ص ٦
- أكبر مدرج مُغطى في العالم! **بسام صابور** ص ١٣
- المضادة بالعدل وأخلاق المناضل ، **هند شريدة** ص ١٧
- قامات من نور: الفلسطيينيات يضئن طريق المسيح - رؤية لاهوتية، **خريستو المرّ** ص ٢٢

افتتاحية العدد

هند شريده تعيد الحياة لصوت الأسير الشهيد وليد دقة، لا كشهيد فقط، بل ككاتب، وأب، ومقاوم جسّد الحب بوصفه شكلاً من أشكال الانتصار. في مقالة «المناداة بالعدل وأخلاق المناضل»، تتقاطع الشهادة مع الفداء، لتُعيد تعريف معنى النضال الأخلاقي ضد الاحتلال، وتستدعي الضمير العربي والدولي إلى وقفة صادقة مع الأسرى الذين يُصنع بهم الفجر.

وأخيراً في مقالته «قامات من نور»، يُعيد خريستو المر تأمل النسوية المسيحية من موقع فلسطيني، مشدداً على أنّ الوقوف إلى جانب النساء الفلسطينيات ليس مجاملة أخلاقية، بل شهادة على الصليب، وانخراط حيّ في قيامة المسيح عبر أجساد تتألم وتُضيء.

في هذا العدد، لا نقرأ فقط عن فلسطين، بل ندعى إلى النظر إليها من الداخل: من داخل التجربة، الأم، والإيمان. من داخل السجون، والمدن، والكنائس، والحقول المحروقة. من داخل أرواح لم تخف من إعلان القيامة في وجه موت يُدار بقوة السلاح. نأمل أن تجدوا في هذا العدد ما يُغذي فكرياً نقدياً مقاوماً، ويُعيد للإيمان معناه المتجسّد في التاريخ. ونرحب دائماً بملاحظاتكم ومساهماتكم، ونتطلع إلى لقاءكم في أعداد تيلوس القادمة.

نقولا أبو مراد، محمد البشير رازقي،

خريستو المر

نرحب بكم في العدد الحادي عشر من مجلة «تيلوس»، عدد يجيء في زمن فلسطينيٍ مثقلٍ بالإبادة وصمت معظم العالم العربي، ليحمل صدىً مقاوماً ينبض بالحق، بالرجاء، وبجراح لا تصمت. هذا العدد، الذي يضم مجموعة غنيّة من المقالات اللاهوتية والفكرية والأدبية، يتأمل في فلسطين بوصفها اختباراً كاشفاً للضمير، ومرآة تعكس التصدّعات في مفاهيم العدل، الإيمان، والإنسان.

يفتح العدد بمقالة خريستو المر «عيال الله في أرض ممزّقة» حيث يُقدّم الإيمان المسيحي من منظور أرثوذكسي لا كعقيدة فقط، بل كفعل مقاومة يتجذّر في التاريخ، ويدعو إلى مشروع جامع يتجاوز الهويات، ويتخذ من صلابة الرجاء درباً نحو ملكوت يتحقّق في وجه الاستعمار والتمزّق.

د. محمد البشير رازقي يقدّم تحليلاً معمّماً للدين والسياسة بعد السابع من أكتوبر، عبر قراءة نقدية لمجلتي Foreign Policy و Foreign Affairs. يعالج فيها تحولات الخطاب الغربي حول الشرق الأوسط، ويكشف كيف تتشابك السياسات والاستراتيجيات مع توظيف الدين لتبرير الإبادة. مقاله شهادة على زيف «الحياد الأخلاقي» للمؤسسات العالمية التي تبرّر، باسم الواقعية، جرائم لا تُغتفر.

أما بسام صابور، فيأخذنا إلى المسرح الكبير للتاريخ السوري، من قلب الخراب إلى مشروع معماري-روحي يدعو للقاء الأديان والشعوب، عبر تأمل شاعري مؤلم في صمت المدن، وخوف الإنسان من الإنسان. مقاله نداء مفتوح للمعماريين، للفنانين، ولصانعي المساحات التي تجمع ولا تفرّق.

عيالُ الله في أرضٍ ممزّقة: من الجذور الروحية إلى مشروع يُشبه الملكوت

خريستو المرّ

المقاومة- بل أن تكون الأطر الدينية التي يتبعونها مجالاً يعبّون منه القوّة الروحية لينطلقوا إلى أفق إنسانيّ أرحب، وتعميق مشروع إنسانيّ يحاول إرساء العدل ما أمكن في هذه الأرض، مشتركين بذلك مع غيرهم المتنوع في رسم تباشير الملكوت في هذه الحياة. هكذا مشروع إنسانيّ متنوع المنطلقات وواحد في هدف الانسجام مع المبادئ الإيمانية-الإنسانية الكبرى، هو لا بدّ مشروع سياسيّ مقاوم للظلم والاستعمار، وهو مشروع رحب لا يلغي التنوع بل يحتضنه؛ مشروع يُعلن أنّ العدالة لا تُجزأ، وأنّ الحرّية لا تُمنح لجماعة دون أخرى، وأنّ الحقيقة في المجتمعات الإنسانية لا تُحتكر.

إنّ الإيمان المسيحيّ يدعونا إلى أن نكون ساعين إلى الملكوت، إلى «المدينة الباقية»، لا إلى سلطة أرضية تُعاد إنتاجها عبر الظلم والتفوق والتسلّط والاحتكار. الملكوت، في معناه العميق، يبدأ هنا؛ هو ليس وهماً روحياً، بل تحقّق تاريخيّ في قلب الصراعات والأنظمة، حيث يقوم جسد المسيح حيّاً عبر كلّ مقاومة للشّرّ تمرّ بنا بما يشبه خبرة الموت على طريق آلم، عبر كلّ فعل حُبّ في وجه القتل، وكلّ وحدة تُبنى فوق جراحات الانقسام. إنّ علامات الأزمنة التي نراها حولنا تدعونا، في بلادنا التي يمزّقها الاستعمار ويعيث فيها إبادة وظلماً، إلى ابتكار مشروع سياسيّ لا يفصل الإيمان عن الحياة، ولا يُقرّم الإيمان إلى شعار، بل يُجسّده في عمل جماعيّ يسعى إلى جمع ما فرّقته الهويّات، ويقاوم ما سحقه الاستعمار، ويُحرّر ما قيّد باسم الدين، مشروع يُقيم العدل ويصنع وحدة في التنوع. هذا هو التحديّ الذي يحتاج إلى صلابه الرجاء، تلك الصلابه التي نحتاجها كي تعين قلة إيماننا أمام شراسة التجارب التي تضعنا فيها شياطين الاستعمار الإباديّة. علنا نكون من الذين يقيمون العدل بالإيمان والعمل الجديّ وصلابه الرجاء.

في الرؤية الأرثوذكسيّة، ليس الإيمان مجرد فكرة ذهنيّة أو مشاعر دينيّة، بل حركة وجوديّة تنبع من أعماق القلب - قلب منفتح على نعمة الله، ومتجاوب معها في مسيرة خلاص تتجلى في التاريخ، لا خارجه. فالإيمان هو، أولاً، لقاء شخصيّ مع الله الحيّ، وثانياً التزام بجملة من القيم التي تنبع من حضوره، مثل المحبّة، والحرّية، والعدالة، والكرامة. بهذا المعنى، الإيمان لا يُختزل في طقوس، ولا يُقاس بمظاهر خارجيّة، بل يُختبر في الصليب اليومي الذي يحمله المؤمن طوعاً في وجه الخطيئة والظلم. بحيث يجدر هذا الصليبُ الإيمان، بينما يصير الصليب بالإيمان درب قيامة.

حين يتحوّل هذا الإيمان إلى فعل جماعيّ، لا ينبغي أن ينحصر ضمن جماعة دينيّة فالمبادئ الأخلاقية النابعة من الإيمان تجمع الناس المتفرّقين قبائل وجماعات، ليتعارفوا ويعرفوا أنّهم واحداً في التقوى، أي في العمل اليوميّ من أجل أن تكون الأرض مجالاً يعيش فيه البشر في عدل وحرّية، عيالا لله، في وحدةٍ تشبه وحدة المحبّة العائليّة كما ينبغي أن تكون.

هكذا يصبح العمل العام الجماعيّ، خاصّة في بلاد متنوّعة الفلسفات والمشارب، مجالاً للوحدة والعدل؛ ويتجلى الدين، لا بوصفه سلطة دنيويّة، بل كتعبير بشريّ عن توقّ روحيّ مشترك. إنّ المشروع السياسي القائم على هوية دينيّة، حتى وإن كان مقاوماً ومنفتحاً، يعجز عن أن يكون وطنياً جامعاً. فالمجتمع تعدّدي بطبيعته حتّى ولو كان من دين واحد، ولذلك يحتاج إلى مشروع يُنادي بالكرامة والعدالة والحرّية، ليس بلغة طائفة أو مذهب أو جماعة، بل بلغة الإنسان، صورة الله، وهو ما تتضمّنه رمزيا بشكل ما عبارة «عيال الله».

من هنا، لا يُطلب من الناس المقاومين للظلم أن يتخلّوا عن الجذور الروحية لمقاومتهم- فمن تلك الجذور تنبع قوّة

الحرب والدين في المشرق من خلال مجلة السياسة الخارجية (Foreign Policy) والشؤون الخارجية (Foreign Affairs): ٧ أكتوبر وما بعدها

الباحث: د. محمد البشير رازقي
أستاذ تاريخ مساعد بالمعهد العالي للعلوم
الانسانية. جامعة جندوبة (تونس)

المقدمة:

عربي وطائفي في المقام الأول بين السعوديين العرب السنة في غالبيتهم والإيرانيين الفرس الشيعة، إلا أن الخط الفاصل الرئيسي اليوم هو خط أيديولوجي. ويتمحور الصراع حول الرؤية الاستراتيجية لكل منهما - رؤية السعودية ٢٠٣٠ ورؤية إيران ١٩٧٩. وتملي كل رؤية السياسات الداخلية لكل من البلدين. إذا فهناك خصومة عميقة الجذور بين المملكة العربية السعودية وإيران نابعة من رؤيتهما المتناقضة لمستقبل دولتيهما والشرق الأوسط الأوسع. فالمرشد الأعلى الإيراني علي حسيني خامنئي وولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان آل سعود يؤثران بشكل كبير على العلاقات الثنائية والسياسات الداخلية لبلديهما باعتبارهما زعيمين مستبدين. وتشمل الخلافات حقول عديدة منها التحديث والتنويع الاقتصادي، وتعزيز العلاقات مع الحلفاء الغربيين. وهذه الاستراتيجيات المتنافسة تشكل السياسات الداخلية وتؤثر بشكل كبير على الاستقرار الإقليمي. فرؤية ٢٠٣٠ تستقطب بقوة الشباب السعودي بوعدها بالنمو والتحرر الاجتماعي، بينما تستفيد رؤية ١٩٧٩ من المظالم الاجتماعية الإيرانية. وغالبًا ما تعتمد السياسات الإيرانية على القمع والعنف والرقابة الشرطية الصارمة لفرض الامتثال، مثلها مثل نظيرتها السعودية. المهم هنا أن رؤية ١٩٧٩ تسعى إلى الاستقرار داخل إيران لكنها تعزز عدم الاستقرار بين جيرانها. في المقابل، تهدف رؤية ٢٠٣٠ إلى التعاون والاستقرار الإقليمي، على الرغم من أنها تنطوي على مخاطر، مثل إمكانية حدوث رد فعل أصولي إسلامي عنيف، أو الفشل في تلبية التوقعات

تُرسَم السياسات في الغرب استنادًا لنواميس وأعراف أهمها الاعتماد على المؤسسات العاملة المنتجة للمعرفة سواء المراكز البحثية أو الجامعات أو المجلات العلمية. وتبرز أهمية هذه الممارسات المعرفية زمن الأزمات، حيث توفّر حلولاً مستندة على الفهم لا الصدفة أو الانحياز الأيديولوجي. سوف نسعى من خلال هذا المقال إلى تبين موقع الحرب والدين في المشرق من خلال مجلة السياسة الخارجية (Foreign Policy) والشؤون الخارجية (Foreign Affairs). اخترنا وتعمدنا أن تكون المقالات التي أضعناها للتحليل حديثة الصدور، من ناحية لكي تبين لنا طريقة التحليل الراهنة للحرب والدين في المشرق المعاصر، ومن ناحية أخرى لتمكّننا من تبين طريقة استشراف هذه المؤسسات العاملة (المجلات العلمية) لمستقبل هذا الموضوع، أي الاستشراف عبر فهم الحاضر، وبالتالي المساهمة في نسج تفاصيل هذا المستقبل لا تحليله فقط.

١. الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وسياقه الشرق الأوسطي

يشتمل الشرق الأوسط على عديد الصراعات التي يمكن أن تعيد تشكيل النظام السياسي العالمي. ولكن أكثرها احتمالاً هو الصراع بين القوتين المهيمنتين في المنطقة: المملكة العربية السعودية وجمهورية إيران الإسلامية. وعلى الرغم من أن هذا التنافس كان يُنظر إليه في السابق على أنه صراع

اعتراف ضمني مهم صدر من قلب المطبخ السياسي العالم للولايات المتحدة الأمريكية. وقد أثبت حدث ٧ أكتوبر أن الديمقراطية الإسرائيلية «غير مكتملة»، بل أن «البلاد على شفا حرب أهلية عنيفة» مع تنامي نفوذ اليمين المتطرف (Ronen Zvulun, 2023). وقد عرفت مجلة السياسة الخارجية الحرب الإسرائيلية ضد الفلسطينيين بأنها حرب دينية بامتياز، أو ما يمكن أن نعبر عنه هنا بالإبادة العرقية وقد نشر الكتاب الإسرائيلي «رؤية سوداوية» عن واقع بلادهم، فحروبها «تزداد سوءاً» وظروفها تزداد صعوبة (Caroline de Gruyter, 2024)، بينما طرح دافيد روزنبرغ David E. Rosenberg امكانية تحول إسرائيل إلى «دولة منبوذة دولياً» (David E. Rosenberg, 2024). هذا إلى جانب الانهيار النفسي الجماعي للمجتمع الإسرائيلي، فالشعور السائد «في إسرائيل بأن الزمن قد توقف» حسب عبارة أمي ماكينون Amy Mackinnon، والاحساس الأخطر هو فقدان الثقة في الدولة، وخاصة مؤسسة الجيش، وهو ركن ركين في وجود إسرائيل نفسها وديمومتها (Amy Mackinnon, 2024).

اهتمت مجلة الشؤون الخارجية بالحالة السورية باعتبارها نموذجاً تفسيريًا مثاليًا لعلاقة الحرب والدين في المشرق المعاصر يُعيد ٧ أكتوبر. عالج روبرت فورد Robert Ford هذه النقطة، فقد انتهت الحرب الأهلية في سوريا التي استمرت ١٣ عامًا بشكل مفاجئ في ديسمبر/ كانون الأول، عندما خرج المتمرّدون المنتمّون إلى الجماعة الإسلامية المسلحة «هيئة تحرير الشام» من معقلهم في شمال غرب البلاد واجتاحوا الأراضي جنوبًا، مما عجل بسقوط حكومة الرئيس السابق بشار الأسد. هكذا، في غضون أسابيع، انتهى النظام الذي استمر ستة عقود من الزمن. ومنذ ذلك الحين تقود هيئة تحرير الشام، بقيادة أحمد الشرع،

الكبيرة التي وضعها ولي العهد محمد بن سلمان (karim Sadjadpour, 2024).

في المقابل، قبل ٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣، بدا وكأن رؤية الولايات المتحدة للشرق الأوسط بدأت تؤتي ثمارها أخيراً. فقد كانت واشنطن قد توصلت إلى تفاهم ضمني مع طهران حول برنامجها النووي، حيث أوقفت جمهورية إيران الإسلامية فعليًا المزيد من التطوير، مقابل تخفيف محدود للعقوبات المالية. وكانت الولايات المتحدة تعمل على إبرام اتفاق دفاعي مع المملكة العربية السعودية، الأمر الذي كان سيؤدي بدوره إلى تطبيع علاقاتها مع إسرائيل. وكانت واشنطن قد أعلنت عن خطط لإقامة ممر تجاري طموح يربط الهند بأوروبا عبر الشرق الأوسط لموازنة النفوذ الصيني المتزايد مع بواذر نجاح طريق الحرير الجديد، وهو مشروع حزامي عالمي (Maria Fantappie, 2024). في نفس هذا السياق، كيف ينظر الفاعلون الأساسيون في الشرق الأوسط، ومنهم السعوديون، للقضية الفلسطينية؟

أحد الانتصارات التي حققتها حماس بالفعل هو التوقف المفاجئ للزخم نحو اتفاق بين إسرائيل والسعودية بواسطة أمريكية. كان من شأن الاتفاق الإسرائيلي-السعودي أن يفتح أرضية تاريخية، ويطبّع العلاقات بين البلدين، ويجعل السعودية أكثر تجذراً في الحظيرة الأمنية الأمريكية، ولا ندري إن كان لينتزع التزامات إسرائيلية بشأن القضية الفلسطينية. لربما كانت المخاوف من التقارب الإسرائيلي السعودي أحد الدوافع الرئيسية لهجوم حماس في ٧ تشرين الأول/أكتوبر (F. Gregory Gause, 2023). كيف نظرت المجلدات المدروسة لمكانة إسرائيل بعد ٧ أكتوبر؟ وصفت مستقبل إسرائيل بأنه «مُظلم» بعد حرب غزّة، وهي مقدمة على التراجع اقتصاديًا وسياسيًا و«أخلاقيًا» واجتماعيًا لا محالة (Ilan Z. Baron and Ilai Z. Saltzman, 2024)، وهذا

ألف إسرائيلي (أي حوالي ٥% من السكان) في الخارج؛ وتشير الاستطلاعات إلى أن ٨٠% منهم لا ينوون العودة. وقد ارتفع عدد المهاجرين بشكل كبير بعد حرب غزة، وذكرت صحيفة واشنطن بوست أن اقتصاد إسرائيل «في خطر داهم»، مما يعزز توجهات الهجرة. وتفيد الجامعات الإسرائيلية، بانخفاض حاد في أعداد الطلاب الأجانب، وهو ما يُمثل علامةً أخرى على تآكل صورتها، وضربةً لتقدمها العلمي المستقبلي. باختصار، عززت «إنجازات» نتيها هو القصيرة المدى توجهاتٍ تُعرض مستقبل البلاد للخطر على المدى البعيد (Stephen M. Walt, 2024).

٢. سبعة أكتوبر وسياقها العالمي: الأزمة وصناعة السياسات المستقبلية

تشابك الصّراع الدولي على الشرق الأوسط، كمُعطى سياسي/اقتصادي، مع الرهانات الدينية كوسيلة أساسية للشرعنة والتبرير والاقناع. فلا يمكن أن نفهم مشروع طريق الحرير الجديد وأطماع الصين في الشرق الأوسط وعلاقتها بإيران خاصة بدون تفهم دور الدين في ذلك لا كهدف وإنما كوسيلة وتمهيد. ونفس هذا المنهج نُوظفه لفهم استراتيجيات الهند في الشرق الأوسط، فلم تخفِ مثلاً دعمها اللامحدود لإسرائيل بعد ٧ أكتوبر. ولهذا بيّنت الحرب الأخيرة بين الهند وباكستان (ماي ٢٠٢٥) دور الدين في شرعنة السياسات وتبرير تشكيل التحالفات، فقد كان دور الأسلحة الإسرائيلية مهماً في الجيش الهندي، بنفس أهمية السلاح التركي في الجيش الباكستاني. ما الذي أريد قوله هنا؟ يساهم الدين في شرعنة التحالفات السياسية في بقاع كثيرة من العالم ومن ذلك المشرق العربي. فسياسات الهند المتوجّسة تجاه باكستان ساهمت في ترسيخ علاقاتها مع إسرائيل وبالتالي تشكيل رأي عام ديني ضدها في المشرق العربي. أمّا الصين فتوجّسها من الهند أولاً ومن عدم السقوط في أخطاء الاستشراق الغربي عبر

الحكومة السورية. والأهمّ بالنسبة للكاتب فورد هو أنّ أفضل طريقة تساعد بها أمريكا سوريا هي الخروج من سوريا، إذ يرى الكاتب أنّه على واشنطن سحب قواتها، والتعامل مع حكومة الشرع، وسحب الدعم من قوات سوريا الديمقراطية، إذ لا يوجد احتمال موالاة سوريا لروسيا مرةً أخرى. هذا إلى جانب أهمية توظيف الشخصية «البراغماتية» لأحمد الشرع تجنباً لاحتمال وصول من هو أصلب وأشدّ منه للسلطة، في سياق إقليمي متحوّل ومتحرك (Robert S. Ford, 2025).

كما أنّ ٧ أكتوبر أعاد إنتاج أهمية مصر في رسم سياسات الشرق الأوسط، وهذا ما عبّر عنه جون ألتمان Jon B. Alterman بقوله أنّ كل العالم لا يستطيع «حلّ الحرب بين إسرائيل وحماس بدون مصر». فقبل الحرب، كانت مصر مهمّشة بشكل متزايد في الساحة السياسية العربية، بعد أن هُمّشت بسبب ثورات عام ٢٠١١ وتداعياتها، وعانت من تدهور اقتصادي. أما فيما يتعلق بغزة، فإن لمصر مصالح حيوية ونفوذاً قوياً. لذا، فرغم أنها ستثبت أنها حليف استراتيجي للولايات المتحدة وإسرائيل والعديد من حلفائهما الغربيين، إلا أن مصر كانت وستظل لاعباً أساسياً في الاستجابة الدولية للحرب (Jon B. Alterman, 2023). كما أنّ ٧ أكتوبر على دول مجاورة لإسرائيل منها لبنان. تساءل ستيفان والت Stephen M. Walt إن كان قد توفّر لإسرائيل إمكانية التخلّص من معضلة غزة، وتقليص نفوذ حزب الله وربما القضاء عليه.

لكن من ناحية أخرى، شجّع ٧ أكتوبر رحيل الإسرائيليين المعتدلون والعلمانيون - وهم محوريون في قطاعات التكنولوجيا الفائقة التي غدّت الاقتصاد في السنوات الأخيرة - لتجنب العيش في إسرائيل التي يسعى رجال مثل وزير المالية بتسليل سموتريتش إلى إقامتها. يعيش أكثر من ٥٠٠

تجارب القصف السابقة لهذه البلدان (Joseph Rachman, 2023).

تتشابك الحرب في غزة مع رهانات عالمية كثيرة انتخابية واقتصادية واجتماعية، من الهند إلى ألمانيا إلى الولايات المتحدة. لقد زادت الحرب من حدة التوترات في الشرق الأوسط بشكل ملحوظ، حيث امتدت ساحة المعركة بالفعل إلى لبنان والعراق وسوريا والبحر الأحمر. وخارج الشرق الأوسط، امتدت تداعيات الصراع إلى جميع أنحاء العالم، مما أدى إلى معارك ضارية حول حرية التعبير، وصراعات دبلوماسية حادة في الأمم المتحدة، وتساعد جرائم الكراهية ضد اليهود والمسلمين والعرب (Amy Mackinnon, 2024).

كما بينت فرانسيسكا إيمانويل (Francesca Emanuele) أن حرب غزة سببت انقسامات دبلوماسية في نصف الكرة الغربي، طوال الحرب بين إسرائيل وحماس، كانت دول أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي في طليعة الجهود العالمية لوقف إراقة الدماء في غزة والدفاع عن حقوق الإنسان للفلسطينيين. وقد استدعت حكومات المنطقة سفراءها أو قطعت علاقاتها مع إسرائيل بسبب الحرب، أكثر من أي منطقة أخرى، بما في ذلك العالم العربي وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. ووصف مسؤولون في حوالي نصف دول أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي أفعال إسرائيل في غزة بالإبادة الجماعية، واتخذ بعضها خطوات للضغط على الحكومة الإسرائيلية لإنهاء عملياتها العسكرية العشوائية هناك. على سبيل المثال، أوقفت كولومبيا — التي تعد من بين أشد منتقدي إسرائيل صراحة في أمريكا اللاتينية — مشترياتها من الأسلحة من إسرائيل وأوقفت صادراتها من الفحم إليها، وهي الصادرات التي كانت تمثل في السابق أكثر من ٥٠٪ من إمدادات الفحم السنوية إلى إسرائيل (Francesca Emanuele, 2024).

قرون أو في المادية الجافة للاتحاد السوفياتي بعد ١٩٤٥ جعل منها قوة عالمية معتدلة وغير معادية للإسلام، رغم انتهاكها للحريات داخل الصين ذاتها (Bozhen Zhang, 2022, pp.45-55). لكن، تساهم الاكراهات الدولية وشبكات التوازن العالمي في رسم السياسات الخارجية.

هدف الهند يناقض أهداف الصين في المنطقة وهي تبحث عن حلفاء مغايرين، ويمكن أن تسد إسرائيل هذا الفراغ. رغم ذلك فإن صعود الهند قد يمنعها من تبني موقف مؤيد لإسرائيل بشكل علني على المدى الطويل. أي أن المسألة ظرفية فقط وخاضعة لتوازن القوى مع الصين، فالرؤية الاستراتيجية الشاملة لنيودلهي التي يتبناها الرأي العام ومعظم القادة السياسيين ومؤسسة السياسة الخارجية الدائمة (موظفو الخدمة المدنية ومراكز الأبحاث المؤثرة، إلخ) هي رؤية نظام عالمي متعدد الأقطاب، تكون الهند أحد أقطابه. وسيستلزم ذلك في نهاية المطاف أن تتعامل مع الأزمة الإسرائيلية-الفلسطينية ليس كقوة إقليمية في جنوب آسيا، بل كقوة عظمى (Kadira Pethiyagoda, 2023). وقد انتبه جوزاف راشمان (Joseph Rachman) إلى هذه النقطة، فقد كانت غزة موضوعا ملتهبا للسياسة الداخلية في جنوب شرق آسيا، سياسياً وعقائدياً. ففي إندونيسيا، خاطب المرشح الرئاسي ووزير الخارجية مئات الآلاف من المتظاهرين بدون اغفاله لسبعة أكتوبر. أما في ماليزيا، فقد قاد رئيس الوزراء الماليزي، الذي كان يرتدي الكوفية الفلسطينية، مسيرة حاشدة وصف فيها الوضع بأنه «جنون» و«ذروة الهمجية». وفي سنغافورة، منعت الحكومة رفع علم أي من الجانبين، وفي تايلاند والفلبين، يتنافس التعاطف مع الضحايا المدنيين مع الغضب على المواطنين التايلانديين والفلبينيين الذين قُتلوا أو اختطفوا. وفي فيتنام ولاوس وكمبوديا، أصدرت الحكومات بيانات محايدة بعناية، حتى مع تجدد ذكريات

الثانية، بدأت تتآكل بل وتُحصى بعد حرب غزة، وهذا ما عبّرت عنه آنيي كالامارد Agnès Callamard بنهاية «النظام القائم على القواعد». أي هل يمكن أن نقول أننا بدأنا باسترجاع التعريف الهوبزي لنظام الطبيعة حيث الإنسان ذئب لأخيه الإنسان؟ فقد اتسمت حملة إسرائيل الانتقامية ضدّ الفلسطينيين بنمط نسقي ومأسس من جرائم الحرب، وانتهاكات القانون الدولي. وبينما تكمن تبريرات إسرائيل المعلنة لحربها على غزة بضرورة القضاء على حماس (Agnès Callamard, 2024)، فإنّ الحقيقة تكمن في استمرار إسرائيل لسياساتها السابقة لسبعة أكتوبر القائمة أساساً على منطق التهجير والاجتثاث والتطهير.

الخاتمة

تبين من خلال هذا المقال المعنون «الحرب والذين في المشرق من خلال مجلة السياسة الخارجية (Foreign Policy) والشؤون الخارجية (Foreign Affairs): ٧ أكتوبر» وما بعدها تشابك السياسي بالديني مع حدث سبعة أكتوبر سواء على مستوى صناعة وابتكار السياسات الداخلية أو العالمية. وقد ساعدنا هذا البحث على إبراز باراديغم (إطار تفسيري) يعتمد على مجموعة من الأسس وهي:

- نُسجت السياسات وتُنسج قبل ٧ أكتوبر وبعدها استناداً لمصالح اقتصادية/سياسية لكنها لا يمكن أن تُشرعن إلا بالدين. فالقضية الفلسطينية تعتمد وجودياً على الحق في الأرض تملّكا وتاريخاً وحقّه في العيش فيها. عكس توظيف إسرائيل للدين، فهو المشرعن والمبرّر والمقنع.
- أسس حدث ٧ أكتوبر لإعادة إنتاج شبكات مصالح كثيرة في الداخل الفلسطيني والإسرائيلي. فقد بينت لنا مقالات مجلة السياسة الخارجية وشؤون خارجية أنّ سبعة أكتوبر بيّن هشاشة الدولة الاسرائيلية داخلياً

أعاد الاتحاد الأوروبي استرجاع مخاوفه تجاه تهميشه على مستوى السياسة العالمية خاصة من طرف الولايات المتحدة. وأخذت الحرب الأوكرانية أبعاداً أخرى، بل مثلت حرب غزة وما استتبع ذلك من الأزمات في سوريا وإيران واليمن، وسيلة للمقايضة في أوكرانيا واستراتيجية للتهديّة وتبادل المصالح بين روسيا وأمريكا. والنموذج التفسيري على ذلك تقهقر مكانة ألمانيا في الشرق الأوسط وخسارتها لمكاناتها بسبب انحيازها المطلق لإسرائيل (Ruairi Casey, 2024). كما طُرحت فرضية خسارة أمريكا للشرق الأوسط لفائدة الصين، فقد كان السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ نقطة تحول، ليس فقط لإسرائيل، بل للعالم العربي أيضاً. فقد بدأت الحرب في الوقت الذي بدا فيه نظام جديد آخذ في الظهور في المنطقة. قبل ثلاث سنوات، أطلقت أربع دول أعضاء في جامعة الدول العربية - البحرين، والمغرب، والسودان، والإمارات العربية المتحدة - عمليات تطبيع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل. ومع اقتراب صيف ٢٠٢٣ من نهايته، بدت المملكة العربية السعودية، أهم دولة عربية لم تعترف بعد بإسرائيل، على استعداد للقيام بذلك أيضاً. وقد تعاملت الولايات المتحدة مع المسألة الفلسطينية عموماً بمنطق التفويض لإسرائيل أو دبلوماسية النار أو التجاهل، وهذا ما ترسّخ أكثر مع سبعة أكتوبر. وتمثّل هذه السياقات فرصة نموذجية للصين للتوغّل في المشرق بإنتاج دبلوماسية بديلة تعتمد على الندية والدبلوماسية المالية والمراهنة على البنية التحتية (Michael Robbins, 2024). ورغم ذلك، يؤكّد دانيال بيمان Daniel Byman أن المشرق المعاصر لا يزال بحاجة ماسة للولايات المتحدة لأسباب كثيرة أهمها الفوضى التي سوف يخلّفها فراغ القوة الأمريكي، رغم أنّ الدور الأمريكي ذاته قد زرع الفوضى وتبناها (Daniel Byman, 2024).

إنّ حقوق الانسان كممارسة انسانية وقانونية ودولية راسخة جاءت كإطار مؤسسي بعد الحرب العالمية

قائمة المراجع

- Bozhen Zhang, An Analysis of China's Muslim-Related Policies from the Perspectives of Ethnic Heterogeneity, Sinicization and "Anxiety Management", Islamophobia Studies Journal, Vol. 7, No. 1 (SPRING 2022), pp. 45-55
- Agnès Callamard, "Gaza and the End of the Rules-Based Order", Foreign Affairs, February 15, 2024
- Amy Mackinnon, "How the Gaza War Could Shape Global Politics in 2024", Foreign Policy January 5, 2024
- Amy Mackinnon, "Inside Israel, the Gaza War Looks Very Different", Foreign Policy, June 10, 2024,
- Caroline de Gruyter, "Israel and Palestine Are Now in a Religious War Why the Middle East conflict has been getting increasingly brutal—and increasingly hard to solve", Foreign Policy, March 7, 2024
- Daniel Byman, "Why the Middle East Still Needs America", Foreign Affairs, February 2024,
- David E. Rosenberg, "Is the War in Gaza Turning Israel Into a Pariah State?", Foreign Policy May 21, 2024
- F. Gregory Gause, III, "What the War in Gaza Means for Saudi Arabia Israeli-Saudi Normalization Is on Hold—but Not off the Table", Foreign Affairs, November 7, 2023

وتخلل مكانتها عالمياً. ولهذا التجأ صانعو السياسة الاسرائيليون للدين إما لتصدير الأزمة أو بحثاً عن حلفاء داخليين (اليمن المتطرف) أو لمناطحة شرعية بشرعية (الشرعية الاسلامية مقال الشرعية اليهودية). ويبيّن لنا هذا النموذج التفسيري أهمية تشابك الديني والسياسي لدى مُجمل الفاعلين المباشرين في حدث ٧ أكتوبر.

- أعادت حرب غزة خلط الأوراق عالمياً، فقد بينت تراجع نفوذ الاتحاد الأوروبي لا في المشرق فقط بل عالمياً، وتخلل مكانة الولايات المتحدة، إلى جانب إمكانية نفاذ الصين إلى المشرق عبر دبلوماسية الحياد الإيجابي، أو دبلوماسية المال والخدمات، أي المعاش. كما بينت الحرب وجود رأي عام عالمي لا يُستهان به في آسيا وأمريكا اللاتينية. وحضر مرة أخرى الدين. وتشابك مرة أخرى الدين مع السياسة، وقد برز لنا ذلك مثلاً في حالة الدول الآسيوية وطريقة مقاربتها لحرب غزة.

- بينت لنا مجلة السياسة الخارجية والشؤون الخارجية أهمية المؤسسات العاملة في الغرب ودورها في رسم السياسات، سواء عبر التفهّم والتحليل وبالتالي المساعدة في تقرير السياسات أو عبر الاستشراف. وقد استخلصنا أنّ تفكير هذه المؤسسات متوجّه في نموذج حرب غزة خاصة بعد ٧ أكتوبر في أهمية حلّ الدولتين، أو الدّخول في الفوضى. كما برز لنا توجّس أصحاب المقالات من تعدّد أقطاب النفوذ العالميين وبداية انحسار القوّة الأمريكيّة خاصة في المشرق مع رغبتها في مزيد مدّ نفوذها في آسيا.

- That Remade the Middle East How Washington Can Stabilize a Transformed Region”, Foreign Affairs, January/February 2024
- Michael Robbins, Amaney A. Jamal, and Mark Tessler, “America Is Losing the Arab World. And China Is Reaping the Benefits”, Foreign Affairs, July/August 2024
 - Robert S. Ford, “America Can Best Help Syria by Getting Out Washington Should Withdraw Its Troops, Engage With the Government, and Pull Away From the SDF”, Foreign Affairs, March 5, 2025
 - Ronen Zvulun, “Israel’s Unfinished Democracy How the War in Gaza Could Lead to a New Constitutional Order Yohanan Plesner”, Foreign Affairs, December 19, 2023
 - Ruairí Casey, “How Germany Lost the Middle East”, Foreign Policy, May 24, 2024,
 - Stephen M. Walt, “Israel’s ‘Mission Accomplished’ Moment in the Middle East”, Foreign Policy, October 2, 2024,
 - Francesca Emanuele, “Gaza Is Causing Diplomatic Rifts in the Western Hemisphere”, Foreign Policy, September 12, 2024
 - Ilan Z. Baron and Ilai Z. Saltzman, “The Undoing of Israel The Dark Futures That Await After the War in Gaza, Foreign Affairs”, August 12, 2024
 - Jon B. Alterman, “The World Can’t Solve the Israel-Hamas War Without Egypt”, Foreign Policy, October 24, 2023,
 - Joseph Rachman, “Gaza Is a Burning Topic for Southeast Asia’s Domestic Politics”, Foreign Policy, December 29, 2023
 - Kadira Pethiyagoda, “Don’t Overestimate India’s New Middle East Strategy New Delhi’s great-power ambitions may prevent it from espousing an overtly pro-Israel stance over the long term”. Foreign Policy, December 12, 2023
 - karim Sadjadpour, “The New Battle for the Middle East Saudi Arabia and Iran’s Clash of Visions”, Foreign Affairs, November/December 2024
 - Maria Fantappie and Vali Nasr, “The War

أكبر مدرج مُغطى في العالم!

بسام صابور

العادي في أي مدينة سوريّة، أن بلاده كما في الرسم (تحت النص) هي بناء أسطواني مصمت أسود، كان يحكمنا نصف قرن، مستخدماً خوفنا الجيني الذي نشأ على مرّ العصور على شرقي المتوسط، والذي لم يبق غازٍ في الدنيا، من الشرق والغرب والشمال والجنوب، إلا واحتلّه وترك علامة فيه تذكّر به، لذلك نجد في عاديّاتنا وآثارنا كل هذا الفن! وهذا الإنسان الذي عليه أن يبقى على قيد الحياة ليطلع أولاده، هذا عليه التأقلم وتعلم الصمت، والصراخ الداخلي، والعُصاب، ومرض القلب، وارتفاع الضغط. نحن نعلم اننا كمملكة النمل التي تعتقد أنّها العالم! ولكنّ العالم هو الغابة والأشجار والحيوانات الصغيرة والكبيرة، ويحكمها صاحب الغابة. هو الذي يحدّد ويُقسّم ويُزيل وينفى ويُنمي ...

في كتابه النبي يكتب خليل جبران خليل^١:

«ليتني أستطيع أن أجمع بيوتكم كلها في يدي، فانثرها كما ينثر الزارع حبه بين السهل والغابة.

تمنيت ولو أن طرقاتكم أودية، ومسالكم مروج خضر، فيسعى كلّ منكم بين الكروم إلى صاحبه، وتعودوا وقد علق عبر الأرض بثيابكم.

ولكن لم يحن أوان ذلك بعد

فقد تملّك الخوف قلوب اجدادكم، فحشدوكم وشدّوا بعضكم إلى بعض.

وليبقيّن هذا الخوف الى حين. والى حين ستبقى أسوار مدينتكم حوائل بين بيوتكم وحقولكم».

كأنّي في مسرح أو مدرج مغلق سعته عشرون مليون شخص، وأمامنا شاشة هائلة عرضها كيلومترات وارتفاعها مئات الأمتار، وفي الخلفية نسمع رائعة Vangelis «غزو الفردوس»^١. لم يكن ضمن الحضور جزء من الشعب السوري مؤلف من جنود عددهم نصف مليون، كذلك واحد ونصف مليون من مخبرات وأمن مختلف الأنواع... اختفوا كلهم كأشباح كانت تسكن في قلاع من الأسمنت المسلح. عرفتُ منها القلعة المثلثة على زاوية ساحة التحرير مقابل كلية الفنون الجميلة سابقا في دمشق، وعلى الحواجز في المدن، وحدود البلاد وعلى أطراف الحواضر والمدن وفي كل مكان... تركها الأشباح في ٢٠٢٤/١٢/٨! ومن بعيد في الأفق، قبل الغسق بقليل، فرسان على أحصنه بيضاء يرفعون رايات المتشدّدين، خلفهم قرص شمس أرجواني هائل تؤكّد «كونتور» أجسادهم وخيولهم المشعّة، القادمين باتجاهنا!

رَبِّمَا يقول أحد ما: هذا فيلم سينما من هوليوود! لكن هذا ما حصل في سوريا في اليوم المذكور بعد ٦٠ عاما من البروبغاندا والصراخ وحكم العسكر، الذي بدأ بشعارات «تسقط الرجعية والاقطاع والاستعمار» وانتهى بأنّ الجيل الثاني والثالث من الحكام أخذ مكان الرجعية والاقطاع والبورجوازية! اكتشف المواطن أننا جمهورية موز، تعيسة كما في جنوبي أمريكا وأفريقيا، لا أكثر ولا أقل!

بأي نظام نعيش؟ تلعب فيه الاستخبارات المركزية كل شيء، ورجال النظام الذين أربعونا طيلة حياتنا، ينسحبون بهدوء مريب ويختبئون كالجرذان الهاربة من التسونامي الأطلسي الضارب في شواطئ جزر جنوب آسيا! يدرك الفرد

١ الموسيقى التصويرية لفيلم يحمل نفس الاسم «غزو الجنّة» ("Conquest of paradise")، ويحكي عن قصة البحار الأوربي كريستوفر كولمبس واكتشاف العالم الجديد (الأمريكتين)، ومشاهدة الهند الحمر لأول مره في جزر البهاماس.

٢ ص. ٩٥-٩٦، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٩.

فراغ ديني على: قاعة للصلاة او للعبادة، قاعة تدريس، غرفة ادارة، تواليتات، مستودعات، مكتبة صغيرة، ومطعم أو كافيتريا صغيرة. العناصر الخمسة منفصلة فيزيائياً! العناصر المشتركة هي صالة احتفالات واجتماعات مشتركة، بالإضافة الى مواقف السيارات!

تعليقات الأصدقاء

م. ن.: مشروع رائع فمن يطرح المشروع؟؟؟... ونخاف أن يتفقوا فنكون أمام دين سادس... عوض أن يعرفوا [أنه] لا وجود للأديان، بل [أن] هناك دين واحد لله...

ك. م.: إضافة قسم خاص باللاديين سيجعل من المشروع مكاناً جميلاً

ف. ص.: أنا مع مشروع السيد كرم لأن المشروع حضاري ومستقبلي، وهناك أناس ملحدون لادين لهم ولا طائفة

م. ع.: فكرة رائعة. أنا أظن بأن عملية بناء المجتمع تبدأ بخطوة تليها الأخريات، ومع التقدم تأتي الخطوات المكتملة. وهذا المشروع يمثّل الدرجة الأولى من السلم الذي يصعده الإنسان بهدف السمو إلى مجتمع متطور. وما يطرحه البعض في نقدهم، ما هو برأيي الشخصي إلا عبارة عن الرغبة بالوصول إلى الهدف السامي بأقصى سرعة ممكنة. وأنا أشبه من يملك هذه الرغبة بالذي يريد أن يصعد على السلم وذلك من درجته الأولى إلى الدرجة الأخيرة مع تجاهل الدرجات الواقعة بين الدرجة الأولى والأخيرة. المناخ الموجود في المجتمعات العربيّة يتطلّب أولاً زرع فكرة تقبل الآخرين على اختلاف معتقدات، عقول، ونفسيّات أفراد المجتمع. وبهذا يتولّد مناخ يؤهل للتطوّرات المرجوة. فيجب علينا ألا نتجاهل تحكّم الأديان، الرهيب بقوّته، في عقول أفراد مجتمعنا. ومن يريد تطوير المجتمع عليه مخاطبة جميع أفراد المجتمع، ومن أهمهم أولئك الذين يقعون تحت تأثير الدين

جبران يتحدث في المقطع المذكور عن خوف الناس في سوريا من بعضهم البعض، من خوف الطوائف الدينية من بعضها البعض. ربما يكون هناك دور للمعماريّ في صياغة فراغ ما يساعد على فهم الآخرين، وبالتالي يساهم في محاربة مقوله علي بن ابي طالب «الإنسان عدو ما يجهل». ربّما يمكننا أن نقدّم مسرحاً يمكن للفرد فيه ان يتعرّف على الآخر. كانت تلك فكرة مشروع «أرض الديانات الخمسة» الذي أعطيته لطلاي في التصميم المعماريّ، في كلىة العمارة في الجامعة الدولية بدمشق، في بداية الحرب السورية!

نصّ مشروع أرض الديانات الخمسة

المشروع هو تطوير مركز للأديان الخمسة: الهندوسية، البوذية، الاسلام، اليهودية، والمسيحية. هذه المراكز الخمسة تُجمع في تركيب عمراني يقربها من بعضها البعض. كلّ دين له بيته مع أساساته. كلّ يقف على قدميه لكنهم يكملون بعضهم في الحياة اليومية، وهم الى حد ما يكبرون وينمون سوياً.

يرجى تطوير المباني انطلاقاً من صالة التعبّد المثالية، والتي تركز كل منها على اتجاه الصلاة وعناصر الصلاة المعماريّة، التي تستند الى الأشكال الأولى المنحدرة من التعاليم الدينيّة. الى جانب ذلك يتطلّب كلّ دين وظائف يوميّة خاصّة به تحتاج لفراغ. بالإضافة الى فراغ عام (قد يكون مطعمًا صغيرًا) يدفع الناس ليقترّبوا من بعضهم البعض.

المهمّ في الحلّ المختار استقلال كلّ دين واعطائه نفس حقّ الوجود مثل الآخرين. يُراعى في التصميم عمارة الاستدامة التي توفر الطاقة وتؤمن الطقس الملائم للمستخدمين، دون الحاجة الى الافراط في استخدام الطاقة (مثل المكيفات).

عناصر التصميم: يجب أن يتألّف التصميم من خمسة عناصر متشابهة في الشكل (دون أن تكون متطابقة). كلّ منها يستند في المسقط إلى مربع أبعاده ١٥ في ١٥ م، ويحتوي كل

واقعية... هذا المسار صعب جدًا على السوريين وعلى جيرانهم، فهو مسار حضاريّ يتطلّب الكثير من الوقت والجهد للوصول اليه، لكن بدونه نصبح مثل الأيديولوجيين الذين يرون الدنيا بعين واحدة، ويغلقون الأخرى عن أيّ شيء آخر!

ج.ع.: ... ولكن هل سيتمّ تنفيذ هذا المشروع لدى جهة معينة ام أنّه دراسة؟ ثمّ هل يكفي بناء هكذا مجمّع لبحث الناس عمّا يجمّعهم؟ أم أنهم دائماً سيبحثون عن الاختلاف فيما بينهم؟"

خطوات اخرى



في العام ٢٠٢٥، تبدو سوريا مثل قلعة سوداء مصمتة مغلقة، ونحن تقف على اسوارها، ننتظر بفارغ الصبر.

طبعا الخطوات الاخرى لن تكون محصورة فقط في الأديان السورية، ربما يأتي مشروع آخر يتمدّد ليشمل الإثنيات والقوميات، أو المناطق الجغرافيّة، أو العادات... لا يمكن نبدأ بتكوين دولة كما كانت قبل ١٧٨٩ (الثورة الفرنسية)! فمتى سنصل القرن ٢١! أمثلة عن رموز دينية متسامحة معروفة وموجودة: البطرک اغناطيوس الرابع هزيم^٢ كان يقول: عيشوا مع بعضكم في حياتكم اليومية، هذا أفضل من الفلسفة والتفسير! الأمير كريم اغا خان راس الطائفة الإسماعيلية، المثقف، أوجد جائزة الآغا للعمارة الإسلامية، فريدة في تفاصيلها! البابا فرنسيس الذي توفي يوم أمس اثنين البعوث (٢٠٢٥/٤/٢١)، كان يغسل في كل خميس مقدّس أرجل السجناء في سجون روما، وكان مدافعا عن الذين لا يملكون حقوقًا! أليس هذا ما يجب أن يكون عليه المعماريّ! قيامة مجيد لسوريا التي لا تزال في بحر الظلمات إلى أن تعبر إلى بحر الأنوار!

السوريون والحقيقة المجردة

ربّما نصل إلى يوم لنكون جمهورية تبحث عن الحقيقة الخالصة وتكتب كل شيء ... كل شيء.. بتجرّد وتاريخية

٣ البطرک اغناطيوس الرابع هزيم (١٩٢١-٢٠١٢) هو بطرک انطاكيا وسائر المشرق للروم الأرثوذكس، دمشق، خليفة بطرس وبولس لأنطاكية العظمى، من ٢ تموز ١٩٧٩ وحتى ٥ كانون الثاني ٢٠١٢. مؤسس جامعة البلمند والعديد من المؤسسات الارثوذكسية، راهب، عفيف، اسميه فيلسوف انطاكيا!

المُناداة بالعدل وأخلاق المناضل الحركة الأسيرة تشدّ همم الأجيال القادمة نحو الحرية (الأسير الشهيد وليد دقة نموذجاً)

بقلم: هند شريدة*



صورة ١- صورة متداولة عبر الإعلام لوليد دقة وهو يرفع إشارة النصر أثناء جلسة محاكمته

البعد عن مبدأ إحقاق العدالة. وهو بالضبط ما نراه جلياً في ممارسات قوّات الاحتلال الصّهيوني الوحشيّة، وهي تقتل كل ما هو فلسطينيّ على أساس الهوية. فما يحركها فقط: الانتقام، الانتقام فقط. وقد يحصل أيضاً، جراء الهيمنة الاستعمارية أن تشيع المنظومة الصّهيونية باستيطانها الإحلالي وتطبيقها نظام الفصل العنصري (الأبهارتايد)، نماذج تعذيب وتخويف للسّكان الأصليين، قد تولّد لدى البعض، وفي ظلّ عَدَميّة تحقيق أهداف سياسية قريبة المنال، حالة من الاستسلام والخنوع واستدخال الهزيمة، وهذا وارد عند قلّة أيضاً. لكنّ، يبقى الغالب دوماً، والمنطلق الأساسي للنّضال الفلسطينيّ، هو عدالة ونبيل القضيّة الفلسطينيّة التي ما زالت تحرك أفئدة الشّعوب والأجيال المتعاقبة، سيّما الحركة الأسيرة، وما تمثّله في فلسطين من حالة ثورية ونهج مقاومة مستدام ومشتبك من مسافة صفر مع السّجان، حيث ما

لأن المظلوميات الواقعة على شعوب المشرق العربي والمتأتية بفعل الاستعمار لا تحصى، تزيد من ثقلها جرائم السلطة القائمة بالاحتلال وشركائها المتواطئين في جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الإبادة الجماعية الحاصلة في عموم فلسطين، وبالأخص في القطاع؛ يؤمّم الحزن في المنطقة، ويبقى يئنّ مُنبثقاً من الرقعة المت موضعة في الجنوب الغربي بمحاذاة المتوسط، التي سمّاها الكنعانيون (هزاتي)، والفراعنة (غزاتو)، واليونانيون (عزاتي)، والفلسطينيون (غزة).

قد يحصل أن يولّد الظلم المتواصل والواقع على الشّعوب المستعمرة عموماً، وعلى الفلسطينيين خاصة، حالة من الحقد والانتقام اللذين يدفعان الإنسان حصرياً للانخراط في القضاء على الآخر وحسب. والخطر هنا، أن يصبح الانتقام محرّكاً بحتاً للتصرّف، وهو الغاية والوسيلة معاً، وبالتالي يخرج عن منطق النّضال الهادف للتحرر، ويغدو بعيداً كل

زادت من محكوميته الفعلية سنتين، حيث كانت تبلغ ٣٧ عاماً، لتصبح ٣٩ عاماً. كان من الممكن أن يقضي وليد هاتين السنتين خارج السجن، يستدفي فيهما بكنف أسرته، ووالدته (فريدة) التي ظلت تنتظره حتى بعد رحيله، أملاً في عناق الجثمان، إلا أن رحلت هي الأخرى بعد ثلاثة شهور من انتقاله إلى السماء.



صورة ٢ - صورة متداولة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، تظهر فيها (سناء) زوجة وليد وابنتهما (ميلاد)، وهما تشاركان في مسيرة العودة في أيار ٢٠٢٤، بعد قرابة شهر من استشهاد وليد

ومع كل هذا الغلّ والانتقام الخالصين والمُشَبَّعين في عقلية الدولة التي تدعي الديمقراطية، نعود لنستذكر ذهن وليد المتحرّر وأخلاقه النضالية وأثره الفاعل والنهضوي في مسيرة الحركة الأسيرة ككل، بدءاً من مواقفه الصلبة، مروراً بحسه الفني الذي حرّض على صناعة عُودٍ في السّجن (وليد

فتتت الحركة تنادي بالحرية، مطالبةً بحقّ الشعب الفلسطيني في الاستقلال وفي تقرير المصير.

بالرغم من القهر الواقع في بلداننا العربية، والخذلان جرّاء تآكل المدّ القومي العروبيّ الماضي بهيبته مقابل تغليب «السيادة الرأئفة» للدولة القطرية، واستهداف دول المحور المقاوم مقابل ازدياد موجة التطبيع العربي وزحف «الصهيونية الإسلامية»^١ في الخليج؛ يبقى النضال من أجل التحرير هو الهدف المرجو والقائم الذي يسعى له الفلسطيني أينما كان، متحلياً بأخلاق المناضل الحقيقي التوّاق للحرية.

صادف السابع من نيسان/ أبريل ٢٠٢٥ الذكرى الأولى لاستشهاد الأسير وليد دقة، من قرية باقة الغربية في الداخل الفلسطيني ١٩٤٨، عن عمر يناهز ٦٢ عاماً، إذ لم يزل جثمانه محتجزاً في معهد أبو كبير للطب الشرعي^٢، بالرغم من انتهاء محكوميته المتجددة وبالبلغة ٣٩ عاماً، حيث يرفض قضاء «الحاكم والجلاد معاً»، والمتمثل بمحكمة العدل العليا، وبالإجماع، التماساً يطالب الحكومة بالإفراج عن جثمان وليد دقة، بل قرّر ما يعرف بالمجلس الوزاري الأمني المصغر (الكابينت)- وبتعليمات من إيتمار بن غفير ويوآف غالانت- الاحتفاظ بجثمانه واستخدامه كورقة ضغط في المفاوضات مع حركة (حماس)، من أجل إعادة الأسرى الإسرائيليين من القطاع.

كان ممكناً جداً أن يحظى وليد دقة بقبلة وداعٍ من زوجته المناضلة ورفيقة دربه (سناء سلامة) أو حضن وسع الكون من ابنته (ميلاد)، لو كان قد تحرّر قبل سنتين من الآن؛ لكن حُكِمَ الاحتلال الجائر ودوافعه الانتقامية الخالصة،

١ أنصار الله في اليمن، إيران، سوريا قبل سقوط النظام، حزب الله في لبنان.

٢ أُطلق هذا المصطلح التوصيفي من قبل بعض الكُتّاب لوصف الدول العربية والإسلامية المطبّعة مع الكيان الإسرائيلي، وهو مصطلح نقدي، يأتي على منوال «الصهيونية المسيحية» في الغرب، يعبر عن الموقف المناهض للتحالفات الجيوسياسية والاقتصادية في المنطقة، مثل: «اتفاقيات أبراهام الطبيعية».

٣ معهد أبو كبير للطب الشرعي مُقام على أراضي قرية الشيخ مؤسس المهجرة في يافا المحتلة.

بقلم: هند شريدة*

المناداة بالعدل وأخلاق المناضل
الحركة الأسيرة تشحذ همم الأجيال القادمة نحو الحرية
(الأسير الشهيد وليد دقة نموذجاً)

النضالية للتقديم والعطاء على مذبح الوطن. هكذا، ستشعل الفظائع والشُرور التي شرَعَ وَيَشْرَعُ الاحتلال الإسرائيلي وشركاؤه هُنْدَسَتَهَا في المنطقة نفوس الأجيال القادمة، تماماً مثلما أشعلت النكبة والنكسة والانتفاضتين الأجيال المتعاقبة، التي عَايَنَتِ الظلم، فاخترت أن تمضي قدماً نحو إحقاق العدالة والتحرر.

في إحدى رسائل وليد للمشرفة على رسالته الماجستير؛ أفصح فيها مشاركاً إيّاها عما كان يجول في خاطره من مشاعر إنسانية، قائلاً:

«كنت سعيداً جداً وحتى متحمساً لرؤية جلعاد شاليط (الجندي الإسرائيلي الفرنسي الذي أسرته حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وبادلته مقابل تحرير ١٠٢٧ أسيراً فلسطينياً في عام ٢٠١١) يطلّق سراحه، عائداً إلى عائلته وحياته، لأنّ الشخص الذي حُرِمَ من حريته، يفهم في عمق روحه أنّ الحرية ليس لها جنسية أو لون بشرة، وأولئك الذين لم يستوعبوا هذا، لا يفهمون جوهر الحرية. عندما ظهر الجنديّ لأول مرة على شاشة التلفزيون، نحيفاً، خجولاً، مرتبكاً، كدت أصرخ - ياه.. كم نحن بائسون وأغبياء! ناقشت مشاعري مع الأسرى، ووجدت أنني لست الوحيد الذي انتابته هذه المشاعر».

رَفَضَ وليد دقة أن تدنس مشاعر الكراهية روحه، ولم يسمح للعنصرية القبيحة -التي ينتهجها الاحتلال- بأن تسيطر عليه، إنما أخذته إنسانيته وتوقه للحرية بتجرّد، لأن يفرح لفرح آخر نال حريته، حتى لو كان هذا الآخر عدوّه: جندي إسرائيلي، اشترطَ مقابل إطلاق سراحه، إطلاق سراح عددٍ من الحركة الأسيرة التي ينتمي لها وليد بكل جوارحه. عَكَسَ وليد

دقة: «دِقَ قَوِيّ الدَّقِّ وَعَيَّى كُلَّ البَشَرِ»، عبد الرحيم الشيخ، ٨ أيار ٢٠٢٠، مجلة الآداب، إلى تَرْكِيهِ الأدبية، من كُتِبَ ونصوص حرّرها قبله، كـ (صهر الوعي) إلى (الزمن الموازي)، والقصص التي كان تستهدف الأطفال والناشئة، مثل: (حكاية سر الزيت)، و(سرّ السيف)، و(سرّ الطيف). نستذكر أيضاً ما خطّه دقة في إحدى رسائله (رسالة وليد إلى عزمي بشارة في ٢٠١٠)، قائلاً: «أنا لستُ مناضلاً أو سياسياً مع سبق الإصرار والترصد، بل أنا ببساطة كنت من الممكن أن أكمل حياتي كدهان أو عامل محطة وقود كما فعلت حتى لحظة اعتقالتي. وكان من الممكن أن أتزوج زوجاً مبكراً من إحدى قريباتي كما يفعل الكثيرون، وأن تنجب لي سبعة أو عشرة أطفال، وأن أشتري سيارة شحن وأن أفهم بتجارة السيارات وأسعار العملات الصعبة. كلّ هذا كان ممكناً، إلى أن شاهدت ما شاهدت من فظائع حرب لبنان وما أعقبها من مذابح صبرا وشاتيلا، خلّقت في نفسي ذهولاً وصدمة».



صورة ٣- صورة مسربة لوليد وهو يكتب في السجن

مثلما أشعلت فظائع حرب لبنان وما أعقبها من مذابح صبرا وشاتيلا نفس الأسير الشهيد وليد دقة، وشحذت همته

٤ «وليد دقة: «دِقَ قَوِيّ الدَّقِّ وَعَيَّى كُلَّ البَشَرِ»، عبد الرحيم الشيخ، ٨ أيار ٢٠٢٠، الموقع الإلكتروني لمجلة الآداب اللبنانية: وليد دقة: «دِقَ قَوِيّ الدَّقِّ وَعَيَّى كُلَّ البَشَرِ» | الآداب

٥ من رسالة وليد دقة إلى د. عزمي بشارة، وهي منشورة كاملة على موقع arab48: رسالة الأسير وليد دقة في اليوم الأول من عامه العشرين في الأسر!

بقلم: هند شريدة*

المناداة بالعدل وأخلاق المناضل
الحركة الأسيرة تشجّد همم الأجيال القادمة نحو الحرية
(الأسير الشهيد وليد دقة نموّجاً)

الإحساس بالناس وبألم البشرية هو جوهر الحضارة، جوهر الإنسان العقلي هو الإرادة، وجوهره الجسدي هو العمل، وجوهره الروحي هو الإحساس، والإحساس بالناس وبألم البشرية هو جوهر الحضارة البشرية. وهذا الجوهر بالذات هو المستهدف في حياة السجين على مدار الساعات والأيام والسنين، أنت لست مستهدفاً ككائن سياسي بالدرجة الأولى، وأنت لست مستهدفاً ككائن ديني أو كائن استهلاكي تمنع عنه لذات الحياة المادية. قد تتبنى أي قناعة سياسية تريد ويمكنك أن تمارس شعائرك الدينية.. لكن يبقى المستهدف بالدرجة الأولى الكائن الإجتماعي والإنسان فيك. المستهدف هو أي علاقة خارج الذات، أي علاقة يمكن أن تقيّمها مع البشر والطبيعة بما فيها حتى علاقتك بالسجان كإنسان. إنهم يفعلون كل شيء ليدفعونا كي نكرههم. المستهدف هو الحب وذوقك الجمالي والإنساني... لا أحسن الكراهية، ولا الخشونة والفجاجة التي تفرضها حياة السجن. سأظل هذا الإنسان الممسك على حبه قابضاً عليه كما لو كان الجمر، صامداً بهذا الحب، الحب هو نصري المتواضع والوحيد على سجاني.»^٧

في حياة زاخرة بالحب، حافلة بالمقاومة والعطاء؛ لم تتحقق العدالة لوليد دقة، فاستشهد جراء سياسة الإهمال الطبي التي انتهجها العدو بحقه، وهو يصارع نوعاً نادراً من سرطان النخاع العظمي. والجدير ذكره حقاً، وضمن مصفوفة التضحية والوفاء في كنف الحركة الأسيرة، أن أقدم رفيقه الأسير المحرّر زكريا الزبيدي، من قادة حركة التحرير الوطني (فتح)، وقد كان أسيراً حينها، على تقديم طلب مستعجل إلى إدارة سجون الاحتلال، قاصداً التبرع بنخاعه العظمي لوليد دقة، الأمر الذي أدخل الاحتلال بصدمة من

ورفاقه الأسرى ممن شاركوه ذات المكونات العميقة، رُقيّ أرواحهم وأخلاقهم النضالية والثورية التي تثمن الحرية، التي تبقى هاجس الأسير ومتلازمته الأبدية في الأسر.

تأخذنا كلمات وليد مُشرفته، إلى مجمل أخلاق الحركة الأسيرة التي كانت تعي عدم الوقوع في شرك خطاب الكراهية والعنصرية، وقد عبّر عن ذلك أيضاً الأسير المحرر نائل البرغوثي (عميد الأسرى- الذي أمضى ٤٥ عاماً في سجون الاحتلال)، عندما صرّح في مقابلة تلفزيونية (على الجزيرة بتاريخ ٢٧-٢-٢٠٢٥) عقب تحرّره: «إن أحد أهداف الشعب الفلسطيني ليس فقط حرية فلسطين، ولكن تحرير اليهود أنفسهم من الغطرسة الصهيونية والحقن والعنصرية والكراهية التي زرعتها فيهم العنصرية.. في داخل كل من يسكن فلسطين»^٦.

لقد عاصر وليد في سجنه عدداً من القضايا التي ذهبت إلى غياهب النسيان، فكتب أنه يقبع خلف قضبان الأسر «قبل انتهاء الحرب الباردة، وانتهاء الاتحاد السوفيتي ومعسكره الاشتراكي، قبل انهيار سور برلين، وحرب الخليج الأولى والثانية والثالثة. قبل مدريد وأوسلو، وقبل اندلاع الانتفاضة الأولى والثانية». وأكمل: «عمرنا في الزمن الموازي من عمر هذه الثورة وقبل انطلاقة بعض فصائلها، قبل الفضائيات العربية وانتشار ثقافة الهمبورجر في عواصمنا. نحن هنا قبل اختراع الجهاز النقال، وانتشار أنظمة الاتصالات الحديثة والإنترنت». وبالرغم من تراكم العديد من المفاصل التاريخية في حياة مناضل مثل وليد، إلا أنه يكمل رسالته مجاهراً بالإنسانية والحب: «إن الكف عن الشعور بأحزان الناس، أي ناس، وإن تلبد المشاعر أمام مشاهد الفظائع، أي فظائع، كان بالنسبة لي هاجساً يومياً، ومقياسي لمدى صمودي وصلابتي. إن

٦ رابط المقابلة عبر حساب قناة الجزيرة على اليوتيوب: عميد الأسرى الفلسطينيين المحرر نائل البرغوثي يحيي كواليس الساعات الأخيرة قبل الإفراج عنه

٧ من رسالة وليد دقة إلى د. عزمي بشارة، وهي منشورة كاملة على موقع arab48: رسالة الأسير وليد دقة في اليوم الأول من عامه العشرين في الأسر!

بقلم: هند شريدة*

المناداة بالعدل وأخلاق المناضَل
الحركة الأسيرة تشدُّ همم الأجيال القادمة نحو الحرية
(الأسير الشهيد وليد دقة نموذجاً)

إجراء فحص الحمض النووي- DNA كخطوة اضطرارية لمواجهة السَّجان، وخطوة الزيارة، وتسجيل ابنتهما ميلاد في السَّجل المدني، ومقاهرة السَّجان. «خاوي^٨ يعني». والخواوي هذه مهمة في معادلات السَّجان والسَّجان. كأن تواجه منظومة الاحتلال برمتها، وتقول: «نحن خُلِقنا للفرح، وسنواصل الحياة ما استطعنا إليه سبيلاً.. رغماً عنك».

رحلَ وليد دقة وحيداً في مستشفى «أساف هاروفيه» في الرملة، بعد ٣٨ عاماً و١٤ يوماً، رغم انتهاء محكوميته الفعلية (٣٧ عاماً) منذ ٢٤ آذار/ مارس ٢٠٢٣، ولم تكتفِ قوات الاحتلال بذلك، وإنما هجمت مدمرة خيمة العزاء التي نصبها العائلة أمام بيته، واعتقلت عدداً من أفراد أسرته بعد أن اعتدت عليهم بالضرب. كما قوننت احتجاج جثمانه حتى انقضاء محكوميته الإضافية، مُمَعنةً في جريماتها حتى الآن، أي بعد انتهاء السنتين العقابيتين في ٢٤ آذار/ مارس ٢٠٢٥ دون وجه حق، وإمّا لممارسة انتقام عَليّ.. بالطول والعرض، وربط احتجاز الجثمان بمقايضة سياسية محضة.

تقول سناء: «أنت تسكن أحلامي يا وليد. لا أتذكر من تفاصيل الحلم الأخير إلا جملة واحدة قلتها، وكنا نتناقش أنا وأنت عن غزّة، أتذكر فقط أنك قلت «هؤلاء رجال الله»، ويشير فضولي الآن معرفة الحوار الذي رَجَمَ دار بينك وبين رفيق أسرك السابق عندما عدتما والتقيتما هناك في ثلاجة الموت في أبو كبير. لا بد أنه كان حوار السماء حول الخير والعدل والإنسانية في مواجهة الشر المطلق لأعداء الإنسانية».

تبقى ثلاثية وليد وسناء وميلاد قائمة في أذهاننا وأذهان الحركة الأسيرة، لأن الفرح كما الحزن تماماً، يؤمّم بين الناس، وَيَشْحَدُ هَمَمَ المناضلين والمناضلات لغد يسودهُ الحَقُّ والعدْل التوّاق نحو الحرية.

مباشرة الرسالة ومعاني الفداء التي تجسدها الحركة الأسيرة في إسنادها الجَمْعِيّ ومؤازرتها لبعضها البعض، فما كان من الاحتلال أن قابل الطلب برمته بالإقصاء والرفض السريع.

في كل مرة كان يحاول فيها وليد ورفاقه الانطلاق خارج الزّمن الموازي، كان الاحتلال يقف لهم بهرصاد العقوبات والإجراءات التعسفية. ففي ظل محدودية الموارد وشحها المقصود، وسلب الأسير حرّيته الشخصية والمكانية، وفي حيزٍ مجبولٍ بَبُغْضٍ وحقْدِ السَّجان؛ كانت إدارة السَّجان تقابله بعقوبة العزل الانفرادي كلما حرّر كتاباً أو رسالةً من السَّجان. حتى في زواجه من رفيقة دربه (سناء)، وانتزاعهما حفل زفافٍ فريد من نوعه داخل الأسر في ١٩٩٩، والقصص المتناقلة للحدث السعيد عبر الأسرى الذين حضروا آنذاك؛ عوقب وليد وسناء وبقرارٍ قضائيٍّ، وحرّما من الإنجاب الطبيعي والذرية التي يرغبان بها، فذَهَبَ وليد إلى صناعة الحياة وسط كل التعسّف المفروض، من خلال تحرير نطفة، أثمرت ابنته: ميلاد وليد دقة، والتي بتأنسها- كما يقول- أصبح لاسمه معنى. حتى بعد ميلاد ميلاد، كانت فكرة اقتناء حلمٍ ماديٍّ من لَدُنِ الاستحالة، مولود من لحم ودم، يتذوّق ويتنفس، يضحك ويبكي، مجبولاً بالتحدي والحب، كافياً لأن يغضب السَّجان، ويزجّ بوليد في العزل مجدداً، لجرّاته على التّفكير في الأمر وتحقيقه.

لم يقتصر العقابُ على وليد وحده، وإنما شملَ سناء وميلاد، فحرمتا أيضاً من الزيارة، تماماً مثلما حرمت زوجات أسرى أخريات، ممّن حرّرن نطفاً مهربة، واقتنصن فرصاً ممنوعة لانتزاع مخيالٍ مستقبليٍّ على اعتبار ما سيكون، وتحرير بعض من أزواجهنّ وأمانيهنّ في هيئة طفل/ة. خاصّت سناء وأخريات معركة إثبات النسب، من خلال

٨ «خاوي» أي: «رغماً عنك»، وهو مصطلح بالعامية، يُستخدم للتعبير عن حالة التمرد والتحدي أو الإصرار على فعل شيء رغم اعتراض الآخر. المعنى الضمني هو: «لقد قررت ولن أترجع، شئت أم أبيت، لا يهمني رأيك أو أستعدي رضاك أصلاً».

المُناداة بالعدل وأخلاق المناضل
الحركة الأسيرة تشجّع همم الأجيال القادمة نحو الحرية
(الأسير الشهيد وليد دقّة نموذجاً)

بقلم: هند شريدة*



صورة٤- صورة لوليد وسناء أثناء زفافهما في السجن عام ١٩٩٩

*هند شريدة: كاتبة وصحفية مقدسية، تكتب في الشأن النقابي، وأوضاع الأسرى السياسيين وحقوق الإنسان في فلسطين المحتلة. حاصلة على درجة الماجستير في الدراسات الدولية، ودرجة البكالوريوس في الصحافة المكتوبة/ العلوم السياسية من جامعة بيرزيت. عضو مؤسس في مبادرة مهاد المشرق، وهي مبادرة عربية فلسطينية مسيحية، تؤكد على الهوية العروبية الفلسطينية الوطنية والنضالية لمسيحيي المشرق، كمكوّن عضوي متجذر وأصيل من نسيج وهوية العالم العربي، وعمقه الحضاري المسيحي - الإسلامي.

قامات من نور: الفلسطينيات يضمن طريق المسيح - رؤية لاهوتية

خريستو المرّ

كما فقدن مع عائلاتهنّ الأمان جرّاء تدمير منازلهنّ. وطالما اعتبر الاحتلال أنّ صحتهنّ الإنجابية أمر سلبي ومصدر لـ«تهديد» سكاني. واليوم تحديداً، يقتل جنود حرب الإبادة الإسرائيلية اثنتين من الأمهات كلّ ساعة وسبع نساء كلّ ساعتين، وارتفعت نسبة إجهاض النساء الفلسطينيات إلى ٣٠٪. هذا بالإضافة إلى أنّ وقع حرب الإبادة عليهنّ مضاعف، إذ يعاني من انعدام الفوط الصحية، ومن صعوبة ومخاطر الوضع وسط الدمار وانعدام النظافة (حوالي ١٨٠ ولادة يومياً)، ومن سوء التغذية الذي ينتقل إلى أطفالهن. وقد أظهرت تقارير عدّة حرمان الأسيرات من الضروريات الأساسية مثل الطعام والأدوية والفوط الصحية، بالإضافة إلى تعرّضهنّ للضرب الجسدي المبرح، وللحبس في قفص معرّض للمطر والطقس البارد دون الحصول على طعام. وأفادت المفوضيّة السامية لحقوق الإنسان أنّ النساء والفتيات الفلسطينيات قد تعرّضن للإعدام التعسفي في غزة (مع أفراد الأسرة، بمن في ذلك أطفالهن).

هذا التناقض الأخلاقي لمن يصمت عن آلام الفلسطينيات يطرح علينا سؤالاً لاهوتياً تجاه المسيحيين الصامتين عن آلام الشعب الفلسطيني: هل يمكن للعدالة أن تُجرّأ؟ وهل يليق بالمسيحية والمسيحي، أي لجسد المسيح، أن يصمت عن ألم جزء منه ويتكلّم عن جزء آخر؟

رؤية لاهوتية

من وجهة نظر مسيحية جسد المسيح هو الجماعة التي صارت واحداً مع المسيح، ومع أنّ التعريف اللاهوتي التقليدي يفسّر ذلك على أنّ جسد المسيح هم أولئك المسيحيات والمسيحيين، إلّا أنّ الرؤية اللاهوتية التي على قلب الله لا يمكنها إلّا أن تقول أنّ جسد المسيح السري يشمل أيضاً المحبّون الذين

منذ عقود، واجهت الحركات النسوية في الجنوب العالمي تهميشاً مزدوجاً: من جهة النظام الأبوي المحلي، ومن جهة أخرى التسلّط الكولونيالي والفوقية الثقافية لحركات نسوية شمالية تجاهلت، عمدًا أو جهلاً، معاناة النساء في ظلّ الاحتلال والاستعمار. تمحورت الرؤية النسوية الغربية - لا سيما في تياراتها البيضاء، الليبرالية - حول خبرات النساء الأوروبيات والأمريكيات، مغفلة الألم المزدوج الذي تحياه نساء الجنوب، حيث يتقاطع القمع الذكوري مع العنف البنيوي للاستعمار.

هذه القراءة المختزلة للواقع النسوي العالمي وصلت، كما تروي الباحثة الفلسطينية ندى إيليا، إلى حدّ قمع الصوت الفلسطيني نفسه في الفضاءات الدولية، كما جرى في مؤتمر الأمم المتحدة عام ١٩٨٥، حين حاولت النسوية الأميركية الشهيرة بيتي فريدان منع نوال السعداوي من الحديث عن فلسطين، متذرّعة بأن «السياسة» لا مكان لها في المؤتمرات النسوية، فيما كانت فريدان في الوقت ذاته تهاجم الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، وهو أمر سياسيّ بامتياز! في الآن نفسه نجد في لبنان والعالم العربي أصوات وجمعيات تدافع عن حرّية النساء وتبقى صامته بشكل صادم فيما يتعلّق بالنساء الفلسطينيات، إذ لا ترى سوى نوعين من العنف: العنف الذكوري في النظام الأبوي، وعنف التزمّت الديني (المشترك بين جميع الأديان السماوية)، وتصمت عن عنف الإبادة الاستعمارية كما صمتت من قبل عن عنف الاستعمار الصهيوني المتواصل منذ عام ١٩٤٨. أنّ أثر الاحتلال الصهيوني على النساء مضاعف وخاص. فطالما منع الاحتلال العنصري النساء الفلسطينيات من الدراسة، أو تحرّش بهنّ في الطريق إلى المدرسة، وطالما تهجم المستوطنون عليهنّ، وأجبرهنّ جنود الاحتلال على وضع أطفالهنّ عند الحواجز، وتعرّضن للإجهاض بشكل كبير بسبب الاعتداءات الإسرائيلية.

عن التاريخ بل في تجسّد الخلاص، تجسّد محبة يسوع وقوة قيامته، في قلب التاريخ، يدعوننا لأن نكون شهوداً على الحقيقة في وجه الكذب السياسي، ولساناً للعدالة في وجه خطاب الخداع. وكما أنّ جسد المسيح في الجسد الفلسطيني المتألم، فإنّ صوته يكمن في كلّ صرخة لأجل الحقّ والحريّة.

إن كان من معنى عميق للنسوية المسيحية، فهي بوصفها خياراً أخلاقياً قبل أن تكون أيديولوجياً: هي التزام بالوقوف مع كل متألمة، تمامًا كما وقفت النسوة بشجاعة عند الصليب أمام الجسد المرفوع على الصليب دون أن تنكرنه، في صمت مؤلم لا يتواطأ مع الجلاد وإنما يجدد عند الصبح ليطيّب الجسد الذبيح بعطر الشهادة للحقّ، حتّى تأت الساعة لتعلن القيامة من الموت. النسوية التي تتجاهل الاحتلال ليست حيادية، بل شريكة في العنف. أما النسوية التي تحتضن مقاومة النساء في فلسطين، فهي نسوية القيامة، التي لا تخاف الموت لأنها تعرف أن الربّ قد قام، وأنّ الحبّ أقوى من الاحتلال.

اليوم، ونحن نرى بأعيننا صلب الأمهات الفلسطينيات كلّ ساعة، ودموع الأطفال التي تجفّ قبل أن تجد حضناً، نسمع نداء الإنجيل يُلخّ: «كنتُ جائعاً فلم تُطعموني، سجيناً فلم تزوروني، مصلوباً في غزة فلم تروني». فهل نكتفي بالصمت، أم نرتفع إلى مستوى الإيمان الحقّ، حيث كلّ ظلم يُدان، وكلّ ضحية تُرى، وكلّ احتلال يُرفض؟ إنّ المسيحية ليست مجرد طقس أو عقيدة، بل مسار خلاص يُكشف في التاريخ، عبر المحبة الفاعلة، والصرخ النبوي في وجه السلطة الظالمة، والانحياز الدائم إلى من هم في القاع. وإنّ من لا يرى فلسطين من هذا المنظار، لا يرى بعدد وجه المسيح في الأرض، ولا يرى الفلسطينيات قامات من نور تضيء طريق المسيح.

حملوا أوجاعهم كما يسوع، من كلّ لون وجنس ودين. جسد المسيح يشمل النساء الفلسطينيات. كما يقول خوميكوف الكنيسة الأرضية «ليست هي ملء وكامل الكنيسة الكلية التي عين الربّ ظهورها يوم دينونة الخليقة كلّها. الكنيسة الأرضية تعمل وتعلم فقط ما هو ضمن حدودها... ولكن هي لا تحكم على بقية الجنس البشري، ولا ترى أنّهم مُقصون، أي غير منتمين إليها، سوى هؤلاء الذين يريدون إقصاء أنفسهم. بقية الجنس البشري، أكان غريباً عن الكنيسة، أم متّحداً معها بروابط لم يُرد الله أن يكشفها لها، تتركه [الكنيسة الأرثوذكسية] لحكم اليوم الأخير». جسد المسيح السري هو أوسع من الكنيسة المنظورة، هو يشمل الذين تعمّدوا بالألم والحبّ فضمّمهم المسيح أغصاناً إليه هو الكرمة الواحدة. هذا يحمل المسيحيّات والمسيحيين عبء وعي لأنّ آلام الآخرين هي آلامهم، لأنّ أوجاع الأعضاء في الجسد الواحد توجع الجسد كلّهُ. إنّ نسوية مسيحية لا يمكنها أن تصمت عن آلام النساء الفلسطينيات.

ثمّ إنّ الرؤية الأرثوذكسية للإنسان - بوصفه أيقونة إلهية، حاملة للمجد والوجع معاً - ترفض مثل هذا التناقض، ترفض الانتقائية في التعاضد. لا يمكن أن يكون الإيمان المسيحي حياً إذا ما غفل عن الجراح التي يلحقها الاحتلال الصهيوني بالإنسان في فلسطين. كيف يُمكن لجسد المسيح أن يحتمل السكوت على آلام الفلسطينيتين، وفي موضوعنا كيف له أن يصمت عن النساء الفلسطينيات اللواتي يُحرمن من التنقل والتعليم، ويُعتدى عليهن عند الحواجز، وتهدّم بيوتهنّ، وتُسلب أرحامهنّ، ويُمنعن من الولادة الآمنة، ويُحرمن من الغذاء والدواء، ويُضربن في السجون، بل ويُقتلن كل ساعتين في حرب إبادة متواصلة؟ اللاهوت الأرثوذكسي، الذي يرى الخلاص ليس في الانفصال